شَجَرَةُ الأَنبِيَاءِ

-١٥-

دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الحكمة وفصل الخطاب

منصور الرفاعى عبيد د/ إسماعيل عبد الفتاح رزق السيد هيبة

رسم صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٢٢٩,٥ منصور الرفاعى عبيد.
م ن د أ داود عليه السلام: الحكمة وفصل الخطاب/ منصور الرفاعى عبيد، إسماعيل عبد الفتاح، رزق السيد هيبة؛ رسم صفوت قاسم.- القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨.
٢٤ ص : إيض؛ ٢٤ سم. - ([سلسلة] شجرة الأنبياء؛١٥)
تدمك : ٣ـ ١١٤١ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.
١ ـ قصص الأنبياء. أ ـ إسماعيل عبد الفتاح، مؤلف مشارك. ب- رزق السيد هيبة، مؤلف مشارك. جـ- صفوت قاسم، رسام. د- العنوان. هـ- السلسلة.

صف كمبيوتر عادل أحمد العزب

رقم الإيداع	٩٨ / ٨٢١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

قصتُنَا الآنَ مع نبيٍّ الحكْمة والموعظَة الحَسنة . . دَاود عَليه السَّلاَمُ .

فَالحكْمةُ منَّةٌ من الله تعَالَى يُعطيهَا مَنْ يشَاءُ من عباده بلاَ حسَاب ؛ وَلأنهَا من أعظم المَنح الرَّبانيَّة لاَ تُعطَى لوَاحد منَ النَّاس ، إلاَّ إذَا كَانَ طَاهرَ القَلْب ، صَافي النفس نقيَّ الضَّمير ، وَاللهُ سُبحَانَهُ وتعَالَى يقُولُ في كتابه العزيز : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. والموعظَةُ الحَسنَةُ هيَ لُغةُ الأنبيَاء والدُّعاة في كُلِّ زمَان ومكَان. يقولُ اللهُ تعَالَى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥].

وَهذَا هُوَ دَاود عليْه السَّلامُ ، نَبيٌّ كَريمٌ منْ أنبيَاء الله ورُسُله الصَّالحينَ المكرَمينَ ، الذينَ بعثَهمُ اللهُ بالهُدَى ودين الحقِّ ، فكَانتْ سيرتُهُ وحَياتُهُ قُدوةً للمؤمنينَ العاملينَ بآيات رَبِّهمْ ، الذينَ يثقُونَ بأنَّهمْ إلَى الله رَاجعُونَ .

لقد آتاهُ اللهُ النُّبوةَ والملْكَ في بَنِي إسرَائيلَ ، وكَانَ منْ قبلُ يعملُ بيدَيه أعمَالاً وصنَاعات تُفيدُ المُجتمعَ منْ حَوله ، ليثبتَ أنَّ العملَ حَقٌّ للإنسَان ، ووَاجبٌ عَليه ، منْ أجْل إعمَار الأرْض وازدهَار الحيَاة ، وتحقيق استخلاَف بَني آدمَ في الدنْيا ليقُومُوا بما فَرضَ اللهُ عليْهمْ ، ومَا أوجَبَهُ منْ عبادة رُوحيَّة وعمَل بَدنيٍّ ليعيشُوا سُعداءَ ، فَلا يبْغي بعضُهمْ عَلَى بعْض ، ولاَ يَجور أحَدُهم عَلَى حقُوق الآخرينَ ؛ لأنَّ اللهَ لا يُحبُّ الفسَادَ ، ولاَ يتولَّى المفسدينَ ، ولأنهُ بعدْله سبحَانَهُ وتعَالَى قَضَى أنَّهُ : لوْ بغَى جَبَلٌ عَلَى جبَلٍ لدُكَّ البَاغي .

وتحدثنا كتبُ التاريخِ وسيرُ الأنبياءِ عليهم السلامُ أنهم جميعًا كانوا يعملون بأيديهم أعمالاً تسدُّ حاجات معاشهم، وكان من أهمِّ أعمالهم رعيَ الغنمِ، لتعويدهم الصبرَ فى المعاملة، وحسنَ الرعاية فيما يرعونَ، وترويضَ النفس على هدايةِ الضالِّ وإعادة الشاردِ، والقيامِ الحقِّ بشئونِ الرعيَّة.

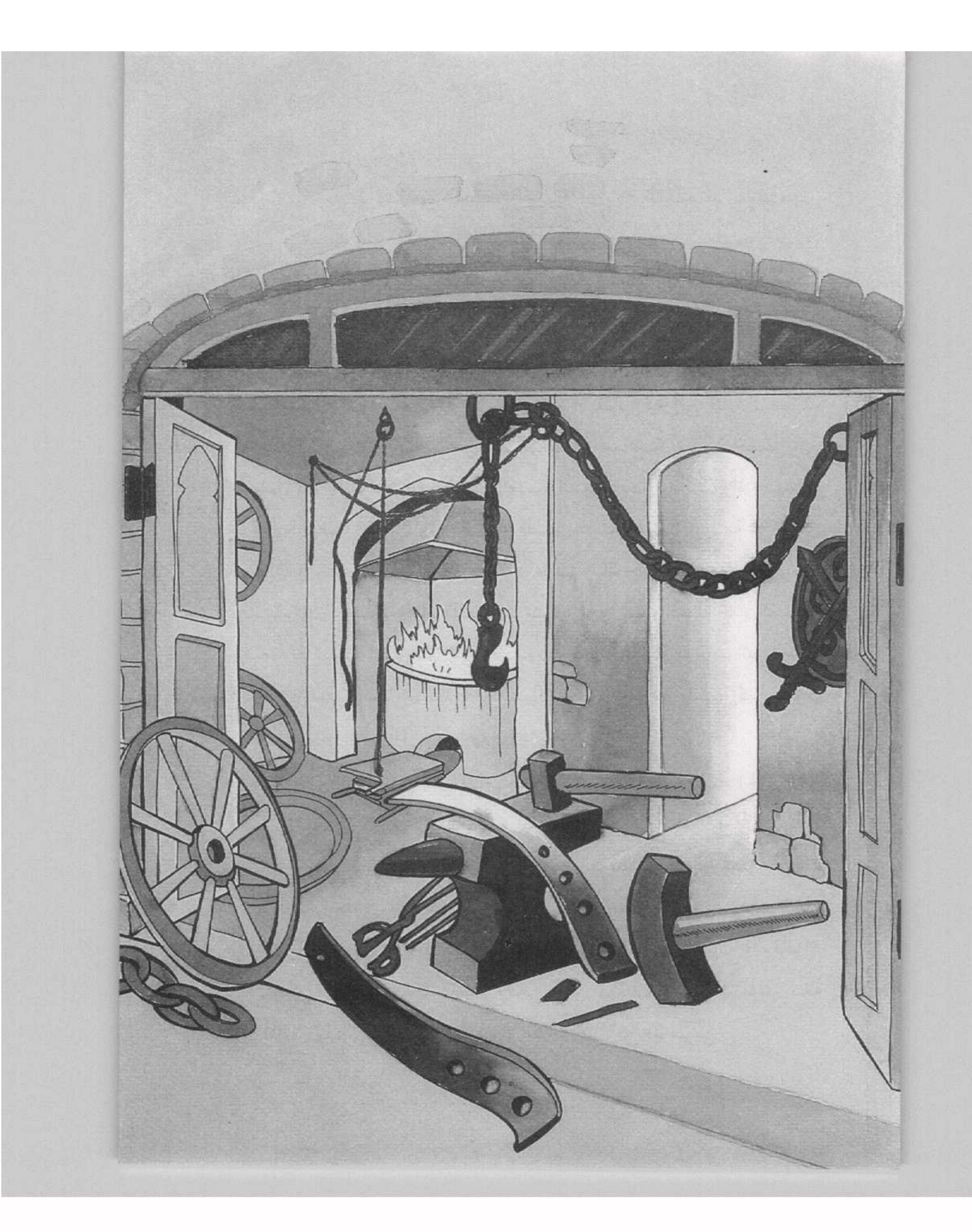
وكانَ داودُ عليهِ السلامُ قد عملَ برعيِ الأغنامِ، ثمَّ كانَ حدادًا، يصنعُ منَ الحديدِ الأدواتِ التى تقى المحاربَ أضرارَ الحربِ وبأساءَهَا. والمعروفُ أن صناعةَ الحديدِ، وتقويمَ معوجِّه وتليينه فى النارِ من أشقِّ الصناعاتِ وأكثرِهَا تعبًا وبذلَ مجهودٍ، ولكنَّ داودَ عليه السلامُ كانَتْ لَهُ معجزاتٌ فى تلكَ الصناعةَ أيدَه اللهُ بهَا دونَ خلقه أجمعين.

لقدْ كانَ داودُ نبيًّا ورسولاً إلَى بنى إسرائيلَ، يدعُو إلَى التوحيدِ، وعبادةَ اللهِ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ، فلمْ يكُنْ ملكًا فقطْ، وإنما كانَ داعيًا إلَى اللهِ. والمعروفُ عنَ المُلْك أنه يطغى صاحبَهُ، وأنَّ الملوكَ إذَا دخلُوا قريةً أفسدُوهَا وجعلُوا أعزَّةَ أهلهَا أذلةً، وكذلكَ يفعلُونَ، ولكنَّ داودَ عليه السَّلامُ، كانَ غيرَ ذلكَ، فهُوَ ملكٌ ولكنَّه لاَ يعيشُ إلاَّ منْ عملِ يدِه، وهو نبىٌّ أوابٌ يرجعُ إلَى ربِّه فى كلِّ أمورِه، ويدْعُو إلَى اللهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة.

فمنْ هو ذلكَ النبىُّ الكريمُ؟

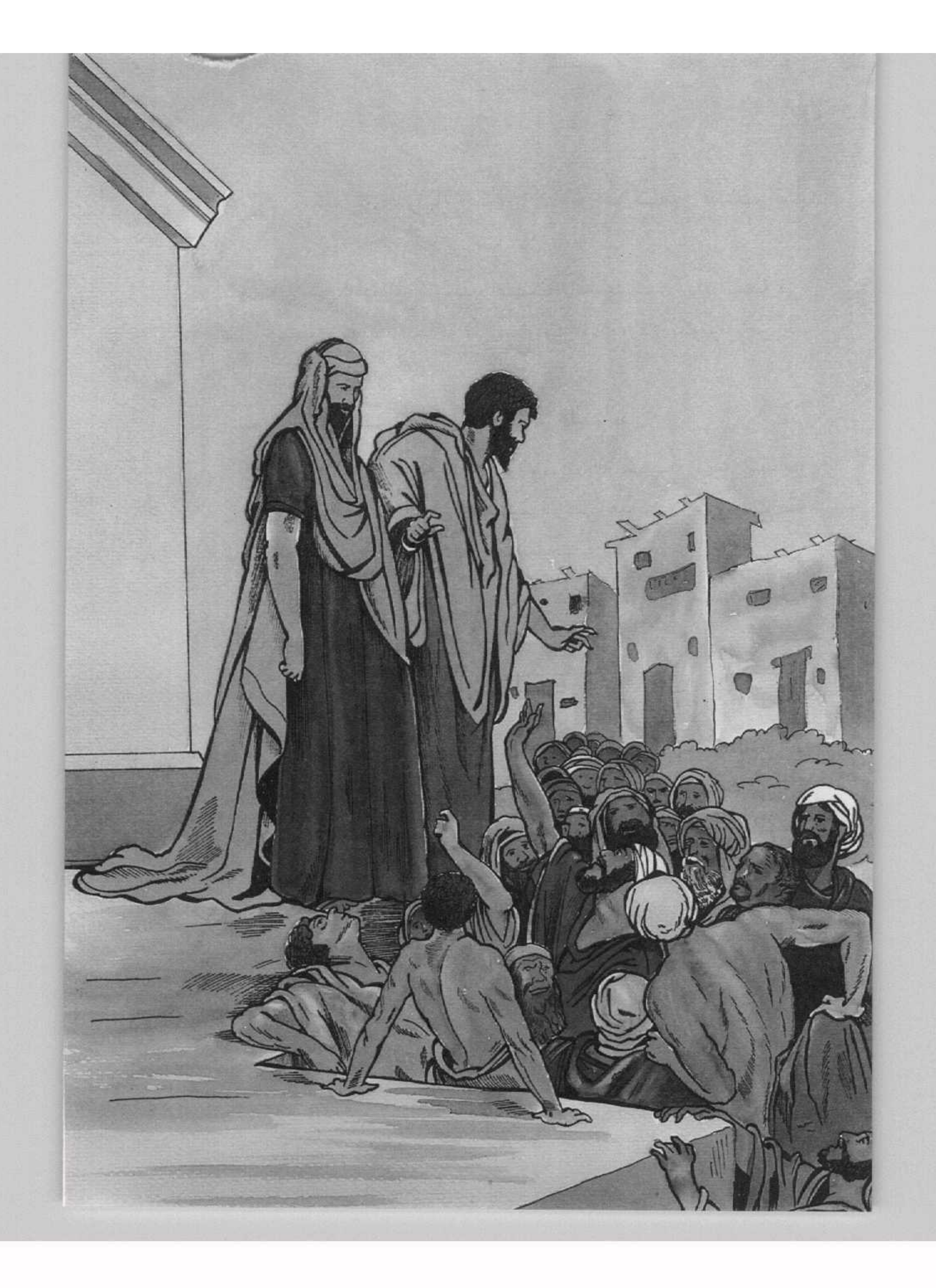
يقولُ المفسرونَ عنْ نسبه عليه السَّلامُ أنهُ داودُ بنُ يَسَّى بنِ عُويبدَ بنِ بُوعزَ بنِ سلمُونَ، وينتهى نسبُهُ إلَى إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهمَا السلامُ.

عاشَ داودُ فى بنى إسرائيلَ بعدَ أنْ دخلُوا الأرضَ المقدَّسةَ معَ يوشعَ



ابنِ نُون، وَقد عرفَنـا منَ القصَصِ السَّابقة أنَّ بلادَ الشَّـام قَدْ تفرقَتْ إلَى ممالكَ صَغيرةَ، ولَمْ يكنْ لبَنى إسرَائيلَ ملكٌ وَاحدٌ يجمعُ شَمْلَهُمْ، فعهدُوا إلَى القُضـاة أَنْ يقومُـوا بشئُون الملْك، وظَـلُّوا كَذلكَ مدة ثَلثـمائة وَسـتة وخمسينَ عَـامًا بعدَ وفاة مُوسَى عليه السَّـلامُ. وخلالَ تلكَ المدَّة كَانَ بَنُو إسْـرائيلَ لاَ يَزالُونَ يحَـاربُونَ أعـدَاءَهُـمْ، منَ العـمَـالَقَـة والميـديَانيِّـينَ الفلسْطينيِّينَ وَالآراميِّـينَ، إلَى أَنْ جَاءَ يَومٌ اضْطرُّوا فيه إلَى قتال الـعمَالقة منْ سُكَّان أُشْـدُودَ بالقرب منْ غـزَّةَ. فهـزمَ عمَالقَـةُ أُشدُودَ جَـيشَ بَنى إسرَائيلَ، وَاسـتَولَوْا علَى تابُوت العَهْـد الَّذى كَانتْ فيه التَّـورَاةُ وصُحُفُ مُوسَى، وبقَـيَّةٌ مما تَركَ آلُ هَارُونَ، فصَـارَ ذلكَ التَّابوتُ غَنيـمَةً فى أَيدى العَمالَقَة، وكَانَ بَنُو إسرَائيلَ يحملونَهُ معَهُمْ أثنَاءَ حُروبهِمْ، ويتفاءَلُونَ به، ويَستبشرُونَ بالنَّصر مَا دامَ ذلكَ التَّابوتُ فى حَوزتهمْ، فلمَّا أخذَهُ العمَالقَةُ وضَعوهُ فى بَيت أَصْنامهمُ التى يَعبُـدُونَ، فحزنَ لذَلكَ بنُو إسرَائيلَ، أشَدَّ الحزْن، وأسفُوا أسفًا شَـديداً، وأُصيبُوا بالكَدر الذى لاَ يُدَانيه أكدَارٌ، وَلاَ يُذهبُ مَرارتَهُ إقبالُ ليلٍ وَلا شُروقُ نهَارٍ.

وكانَ فى بَنى إسرَائيلَ قَـاضٍ، هُوَ قَاضى القُضَاة وكَبيـرُ الحاكمينَ، يُسَمَّى «صَموئيلَ» فَأوحَى اللهُ إليْـه أَنَّه يجبُ عَلَى بَنى إسرَائيلَ أَنْ يَتَّخذُوا ملكًا، يوَحِّدُ كلمَـتَهُمْ، ويجمَعُ شمْلَهم، ويلُمُّ شَـتاتَهُمْ، فَاختَـارَ بعضُهُمْ طَالوتَ، وجعلوهُ مَلكًا عَلَى بَنى إسـرَائيلَ، وتذَمَّرَ بعْضُهُـمْ ورفَضُوا هَذَا الاختيارَ، وعَادُوا إلَى عَادة بنى إسرَائيلَ فى مُعارضَة كُلِّ صَالحٍ، وقَالُوا: كَيفَ يكُونُ طَالوتُ ملكًا علينَا، ونحنُ أحَقُّ بـالملْك، وَهو لمْ يؤتَ سعَةً منَ المَال، ولمْ نسمَعْ فى يومٍ منَ الأيام أنهُ غَنىٌّ من الموسرينَ.



ولكِنَّ حكيمَ بنىِ إسرَائيلَ «صَموئيلَ» الَّذى هُو قَـاضِى قُضَاتِهِمْ قَالَ لَهمْ:

إنَّ هَذه هىَ إرَادَةُ الله، ولَقَـد اصْطفَـاهُ اللهُ عليْكُمْ، وَزادَهُ بسْطَةً فى العلْمِ والجسْمِ، واللهُ يؤتِى مُلكَهُ مَنْ يشَاءُ مِنْ عَبادِه، فَلاَ تكونُوا لأمْرِ الله منَ الرَّافضينَ.

ثُمَّ حاولَ إقنَاعهُمْ بقَبولِ طَالوتَ ملكًا عليهِمْ فقَالَ:

إنَّ الدليلَ علَى مُبـاركَة الله لطَالوتَ، أنَّ اللهَ سيُعيـدُ إليكُمُ التَّابوتَ الَّذى حَازَهُ العَمالَقةُ، وأخذُوهُ منكُمْ غنيمةً، وكَفَى هذَا دَليلاً عَلَى تَأييدِ الله لذَلكَ الإنسَان الَّذى اختَارَهُ ليكُونَ ملكًا عليْكُمْ.

فهَدأ القَـوْمُ بعضَ الهُدوءِ، وتَركُوا لطالُوتَ الفرْصَةَ ليُعـدَّ العُدَّةَ لِما ينبغِى أنْ يكُونَ.

داودُ المنقذ

فى ذَلكَ الوَقْت كَانَ دَاودُ لاَ يَزالُ صَـبيًّا صَغيـرًا، يَرعَى أغنَامَ أبيه، ولَمْ يكُنْ قد تعلَّمَ فُنونَ القتَال بَعْدُ، إذْ نشَأَ فى الصَّـحْراءِ الوَاسعَة المترَامية الأطرَاف، يرَى آيات الله فى الكوْن، ويعَلِّمـهُ ربُّه، ويؤتيـه مَا يَشَـاءُ من العلمِ والحكْمة، فيتفكَّرُ فى خلْقِ السَّموات وَالأرضِ، ويتدبَّرُ المعَالِمَ الدَّالَّة عَلَى وُجود الله وقُدرته علَى الخلْقِ والتَّدبير.

ولَمَّا جمعَ طَالوتُ جُنـودَ بَنِى إسرَائيلَ، وعزَمَ علَى قتَال العَـمالَقة الَّذينَ استَـولَوْا عَلَى تَابُوت العَهْد، خَرجَ بجَـيشه لملاقَاة الأعْـداء، وكَانَ عَلَى العَمالقَـة ملكٌ يسمَّى جَالُوتَ، وقَبلَ أنْ يَلتقِىَ الجيْشَان قَالَ طَالُوتُ لجنُوده:



إنَّ اللهَ سيختْبرُ إيمانَكمْ، وإنِّـى لأرجُو أنْ تخرجُوا منْ هَذَا الاختبَارِ فَائزينَ، ثمَّ تكُونُوا منْ بعْدهِ علَى أعدَائكمْ منَ المنْتصرينَ.

قَالُوا: كَيفَ ذَلكَ أيهَا الملكُ؟

قَالَ: إنَّ اللهَ مُبتليكمْ بنهْـرٍ سنَراهُ فى طريقنَا، فَلاَ تشرَبُوا منْهُ، ومَنْ شَربَ منهُ، فَلنْ يكُونَ منَّا، إلا مَنْ أخذَ غُرفَةً بيده فشرِبَ منْهَا.

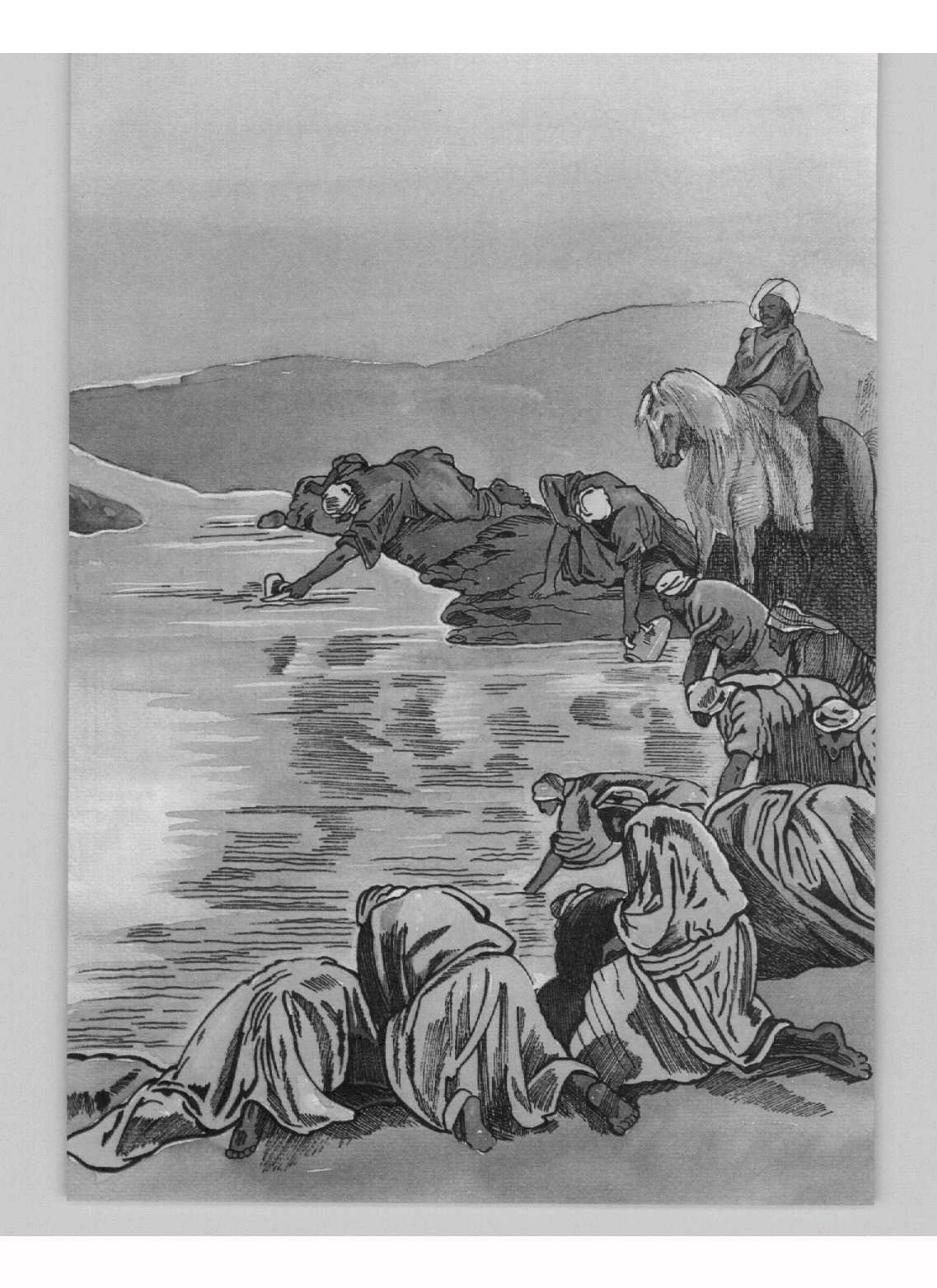
ولَمْ تمضِ إلاَّ لحظَاتٌ قصـيرَةٌ، وأحَسَّ الجندُ بعطشٍ شَـديد، جفَّتْ بسبـبه حُلوقُهم وشـفَاهُهمْ، فَلمَّا أشْرفُوا علَى النَّهرِ لمْ يملكُوا أنفـسَهُمْ وشربُوا كَثـيراً من مَائه العَذْبِ، إلاَّ جمَـاعَةٌ قليلةٌ منهُمْ هىَ التى أطاعَت اللهَ، وأطَاعتْ مَلكَهُمْ، فَلمْ تشـرَبْ منَ النَّهرِ رَغْمَ مَـاتشعُرُ بـهِ منْ ظمأٍ حَارقٍ.

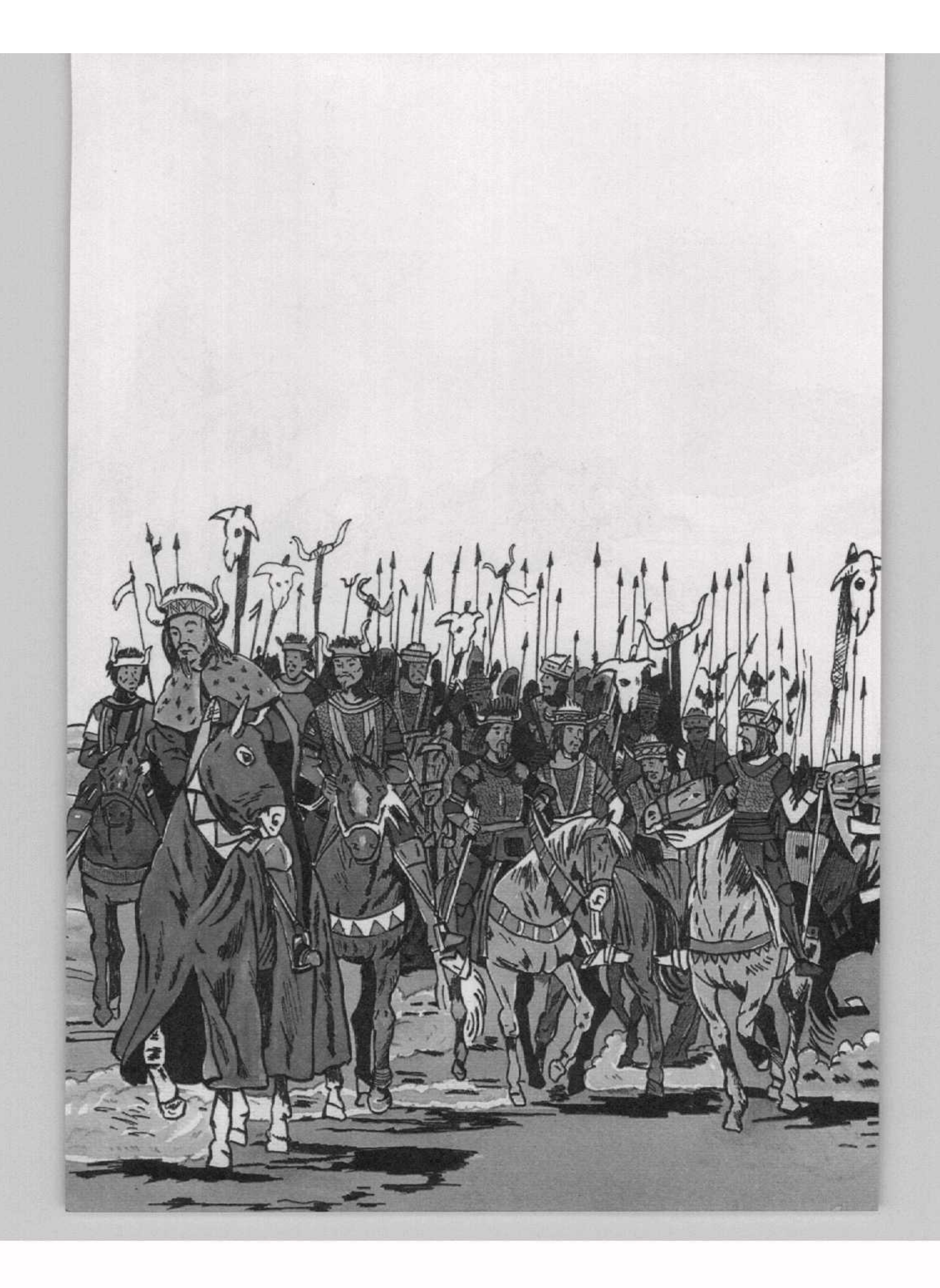
وسَارَ طَالوتُ بهـذه الجمَاعـة المؤْمنة الَّتى لَمْ تشرَبْ منْ مَـاء النَّهرِ، حَتَّى وَصلُوا إلَى مـيْدانِ الحْربِ، وسَاحـةِ القتَالِ، فقَـالُوا لطَالُوتَ، وقَدْ أحسُّوا بقلَّةِ عَددهِمْ، وكَثرَةِ أعدائهمْ:

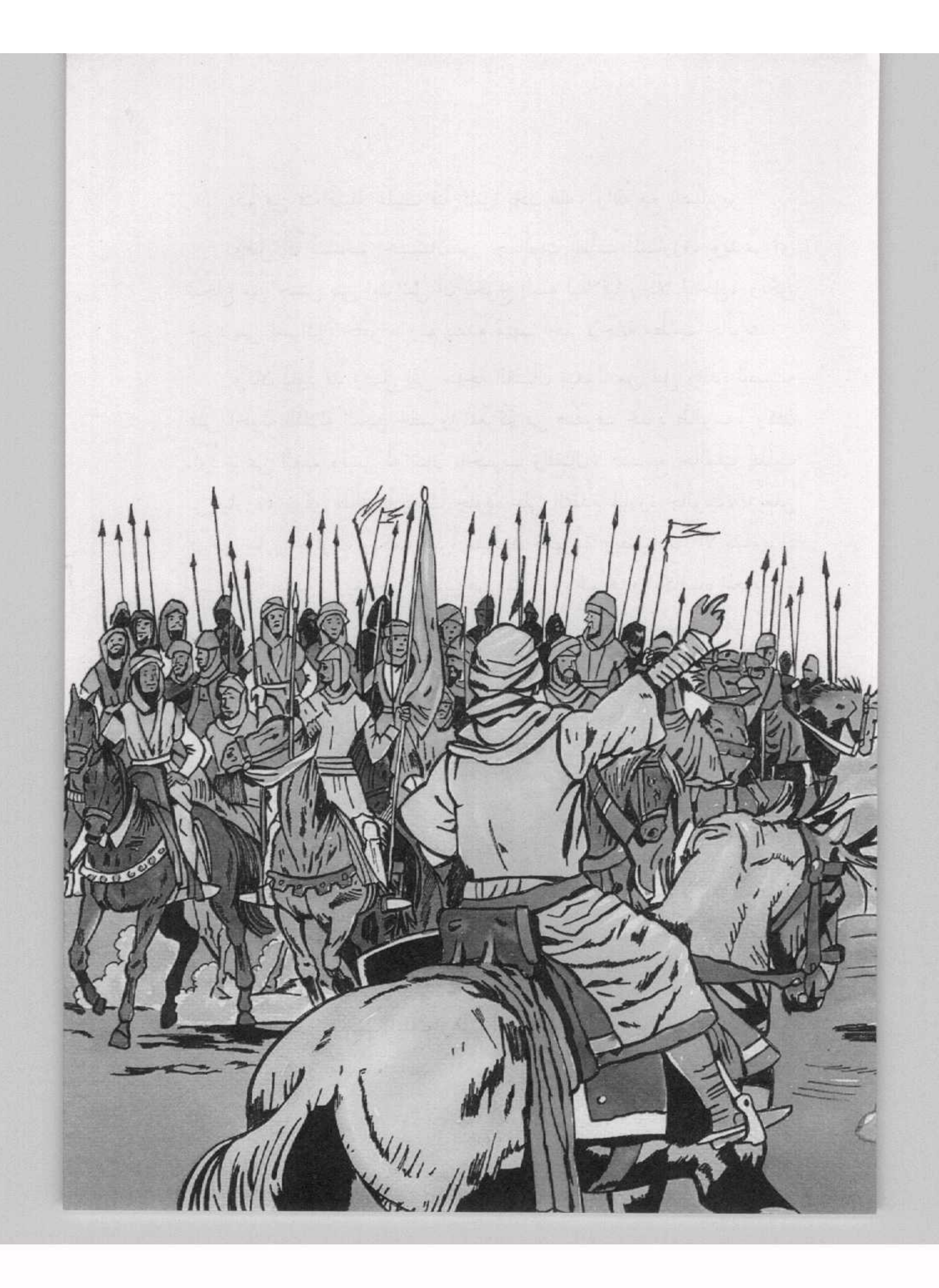
لاَ طَاقةَ لَنَا اليومَ بـجَالوتَ وُجنوده، إنَّ لجالُوتَ جَيْشًـا كثيرًا كثـيفًا قَويًا، ونحنُ قلَّةٌ لا نملكُ مايملكُ أعداؤنَا منْ عُدَّةٍ وسلاَحٍ.

ولَكنَّ المؤْمنينَ منهُمْ، الصَّابرينَ الصَّادقينَ، الوَاثقينَ بمَا عنْدَ الله منْ فَرجٍ ونَصْـرٍ، ذَكَّروهُمْ بقدرة الله عَـزَّ وجَلَّ، ونبهُـوهُمْ إلَى أنَّ النصرَ لاَ يأتى بالسِّلاحِ وحَدَهُ، ولكنَّهُ يأتى بالإيمَانِ والصَّبرِ وصدْقِ النَّفْسِ معَ الله، والتوَكُّلِ عليه، وأنَّهُ إنْ تنصرُوا اللهَ ينصرْكُمْ ويثَبِّتْ أقدامكُمْ.

قَالـتْ هَذه الطَّائفةُ المؤمنةُ لإخـوَانهَا الخَـائفينَ منْ مُـلاقَاةِ جَـالُوتَ وجُنوده:







كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ، واللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.

وَقَبلَ أَنْ يَلتحمَ الجيْشَان برزَ جَالُوتُ يطْلُبُ المبَارزَةَ، ويَدْعُو أىَّ شُجاعٍ منْ جَيْشِ بَنِى إسرَائيلَ أَنْ يخرُجَ إليْهِ ليتَلاقيَا رَجُلاً لرجُلٍ، ولَكنَّ جُنودَ بَنِى إسرَائيلَ خَافُوا، ولَم يتقدَّمْ منهم أَحدٌ لإجَابَةِ مطْلَبِ جَالُوتَ.

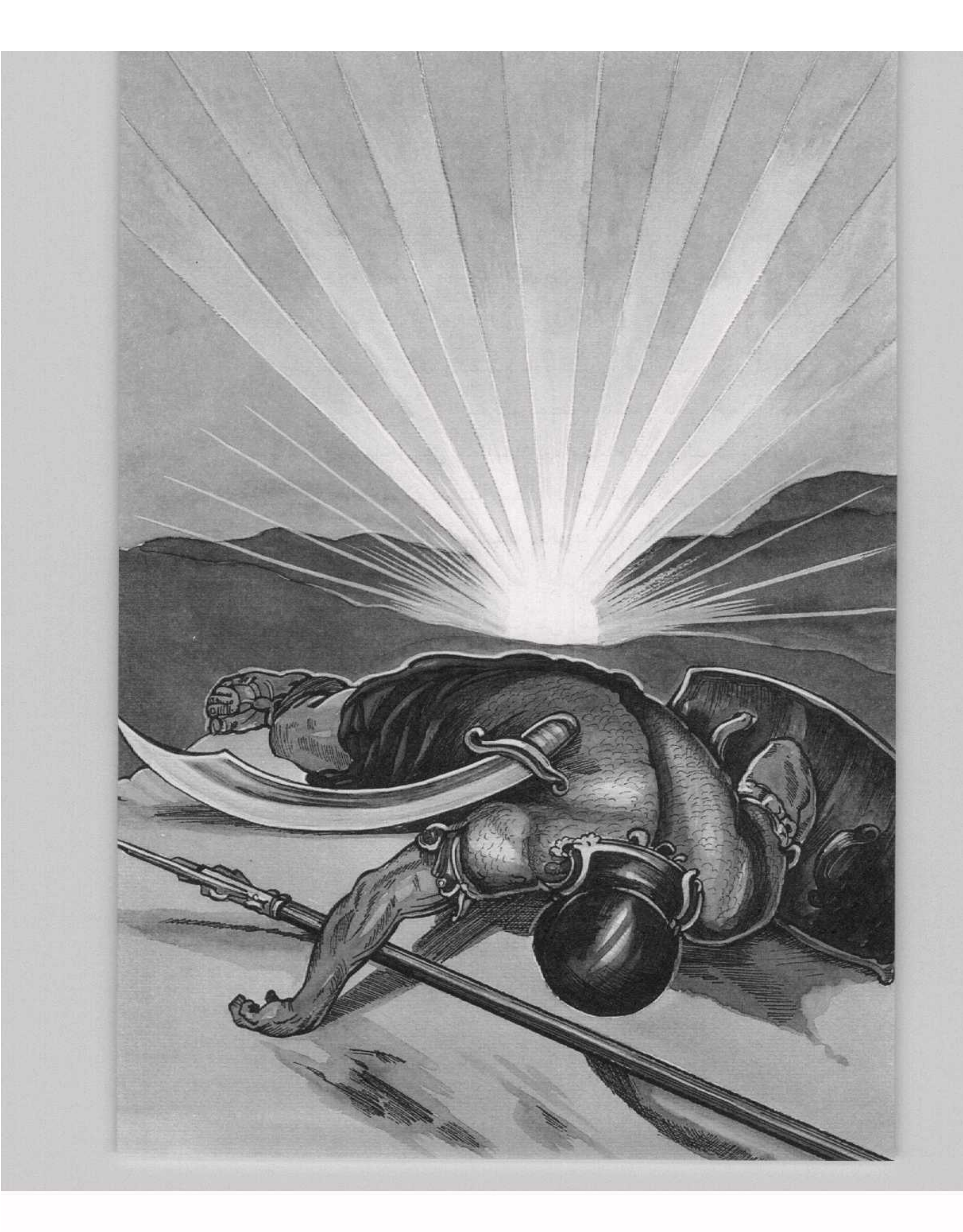
وكَانَ دَاودُ قَدْ وصَلَ إلَى سَاحَةِ القتَالِ مبعُوثًا منْ قِبلِ وَالده ليُطَمْئنَهُ عَلَى إخوَته الثَّلاثة الذَّينَ حَضَرُوا المعَرَكَةَ فِى صفُوفِ جُنودِ طَالوتَ، وكَانَ دَاوُدُ يَرعَى الغَنَمَ وليْسَ لَه شَأْنٌ بالحَربِ والقتَالِ، فسمعَ جَالُوتَ يَطلُبُ مَنْ يَبارزُهُ، ورَأَى طَالوتَ يَحُثُّ جُنودَهُ عَلَى التَقدُّمِ لمبارزة جَالُوتَ، ويُعلنُ أنَّ مَنْ يبارزُ جَالوتَ ويَكْفيه شرَّهُ سَيكُونُ صِهرَهُ، ويَصيرُ من الأغنيَاء، إذْ سيُزوِّجُهُ ابنَتَهُ، ويَمنحهُ الوفيرَ منَ المالِ. ورَغْمَ هَذه المكَافَأة المغْرية لَمْ يَتقدَّمْ أحدٌ لمبارَزة جَالُوتَ، لخوفهم الشَّديد منْه ومنْ قوته الظَّاهِرة لكُلِّ ذى عَينيْنِ، ولَمْ يَشأْ أَىُّ جُندىٍّ أَنْ يُضحِّىَ بنفسه فَداءً لعقيدَته وأرضه.

ولَكنَّ الجميعَ أَصابَتْهُمُ الدَّهشَةُ البَالغَةُ، عندَمَا شَقَّ دَاودُ صُفُوفَهُمْ ووَقَفَ أمَامَ طَالوتَ قَائلاً: أنا أَستطِيعُ أَن أبارزَ جَالُوتَ فَلتأذَنْ لِى بذلِكَ أيهَا القَائدُ والملكُ العَظيمُ.

وَفى دَهشة كَبيرَة قَالَ الملكُ لداودُ:

إنَّكَ لَمْ تلبسْ لبَاسَ الحَربِ بَعْدُ، وأَنتَ رَاعِى غَنمٍ، لاَ تعرفُ فُنونَ القتَالِ، ولمْ تتمرَّسْ بملاقاة الرِّجَالِ، فكيفَ تبَارزُ جَالُوتَ، القَوِىَّ العَنِيفَ؟

ولكنَّ دَاودَ يُجيبُ الملكَ وهُوَ واثقٌ بما يَقُولُ، ويَوضِّحُ لَه دَليلَ قُوته الَّتى يعرفُهَا عَنْ نفسه، فقَالَ:



أيَها الملكُ، لاَ تَستصْغرنى، ولاَ تَظُنَّ أَنَّنى ضَعيفٌ عَنْ مُلاقَاة ذَلكَ العمْلاق، فَلقدْ تمكَّنتُ ذَاتَ مَرَّة من قَتلِ أسد أغارَ علَى غَنَمى، كَمَا قَتلتُ كَذلكَ دُبًّا بَرِّيًّا، وليْـس جَالوتُ أقوى مِنَ الأسَـدِ، ولا أضْخم مِنَ الدُّبِّ البرِّىِّ، وإنِّى إنْ شَاءَ اللهُ لقَادرٌ عَلَى مُبارزَته وقَتْله.

وَافقَ الملكُ عَلَى أنْ يـتـقـدَّمَ دَاودُ لمبـارَزة جَـالُوتَ، وأذنَ لَهُ بذلكَ وحَاولَ أنْ يلبِسَهُ ملابِسَ الحرْبِ فَلمْ يَستطعْ، فتقدَّمَ، فَأخذَ خَمسةَ أحجَار وضَعَـها فِى جـرَابه، وفِى يَده مـقْلاعُهُ، وتـقـدَّمَ مِنَ جَالُـوتَ وحَاولَ أن يحدِّثَهُ، ولـكنَّ جَالوتَ استـهَانَ بهـذا الرَّاعِى الَّذى لَيس مَعَـهُ سَيفٌ ولاَ سَهْمٌ، ولَمْ يُعْط دَاودُ بَالاً لاستـهَانة جَالوتَ به ورمَاهُ بحـجَر، أَصَابَهُ فِى جَبهته، فتقدَّمَ دَاودُ ثَابتَ القَلْب رَابطَ الجأْشِ، وأَخذَ سَيفَ جَالُوتَ وفصلَ به رأسَـهُ عنْ بدنه، وتـقـدَّمَ جَـيْشُ بَنِى إسَـرائيلَ يَحـمِلُ عَلَى جَـيْشِ العمَـالقةِ، فـكَانَ النَّـصـرُ لطَالوتَ وجَيْشه، بفضْلِ شَـجَاعَة دَاودَ، وتقدَّمَ بنو إسْرائيلَ بـعدَ انْتصـارهِمْ عَلَى العمَالقَـة، فاسـتعَادُوا تَابوتَ العَـهْد، وهَتفُـوا من أعمَاقـهِمْ: الحمْـدُ لله الَّذى نَصرَنا عَلَى أعدائـنَا بفضْل ذلكَ البَطلِ الصَّغير.. دَاودَ.

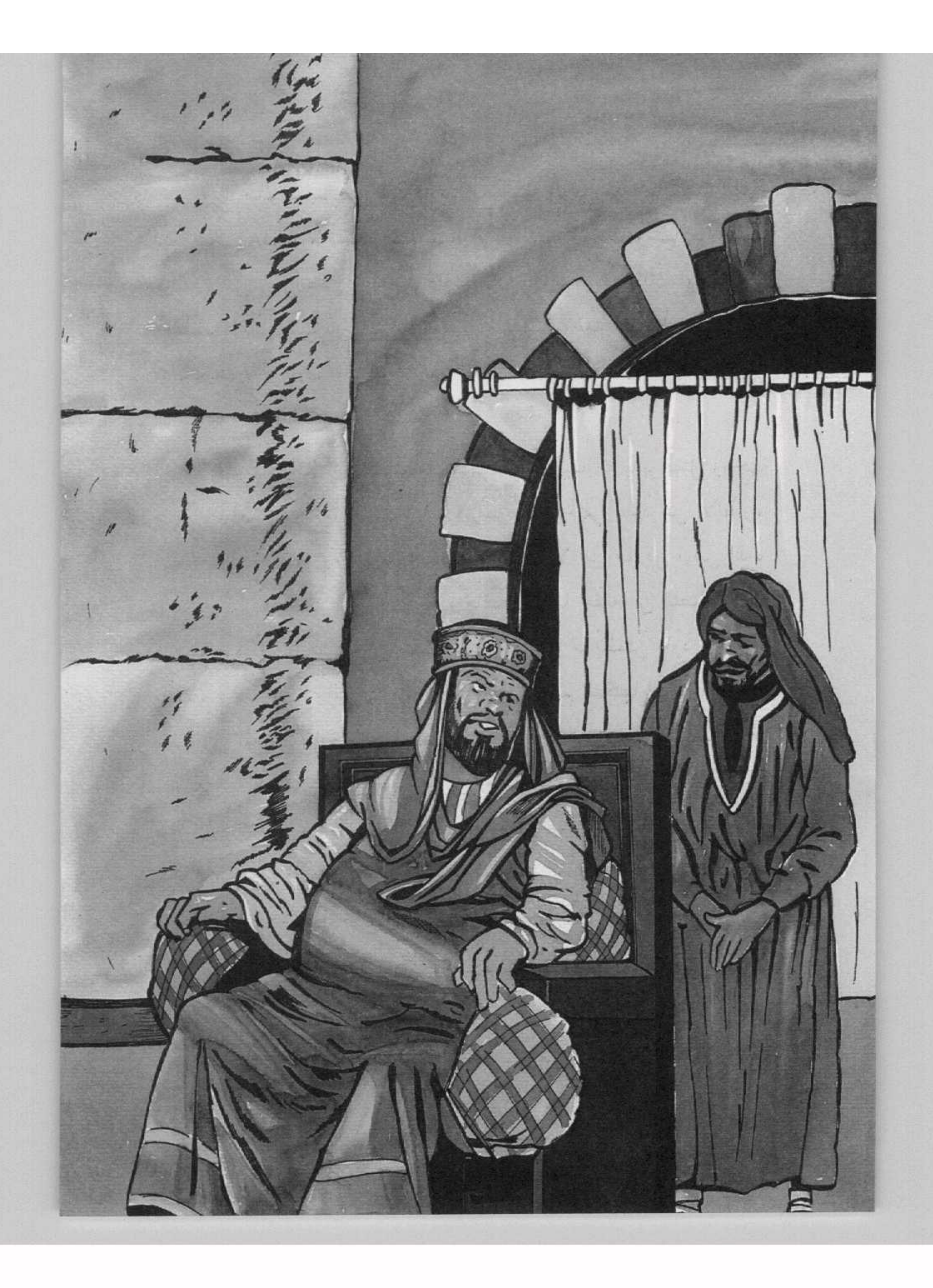
الفتنة والابتلاء

انتصَـرَ جُنودُ بَنى إسْرَائيلَ، ووَفَّى الملكُ طَالوتُ بوَعْـده فزَوَّجَ دَاودَ ابنَته ميكَالَ، وعَظمَ أمرُ دَاودَ فِى قَومه، وأَحَبَّهُ الملكُ كَثيرًا، وتعلقَ به بَنو إسَرائيـلَ تعلقًا كـبيرًا، وأَصْبحَ فِى أعينهِـمْ وفِى قُلوبِهمْ زَعيـمًا عَظيـمًا ومحَاربًا شجَاعًا، وسَيِّدًا مُهَابًا.

وبدأ طالوتُ يتوجسُ منْ داودَ، وتشغلُه الوسَاوسُ، بأنَّ هذَا الفتَى ربَّما يأتى علَيه يومٌ تمتدُّ فيه عيناهُ إلَى الملْك، وزادتْ وسَاوسُ الملك عندمَا وشَى إليْه أحدُ وزرائه بأنَّ داودَ يُمكنُ أنْ يفكِّرَ فى ذلكَ الأمرِ فعْلاً مُعتمدًا علَى حُبِّ بنى إسرائيلَ لَهُ، وتعلُّقهمْ به بعْدَ أنْ كانَ سببًا فى انتصارهمْ. وحاولَ طالوتُ أنْ يدبرَ حيلةً لقتْلِ داودَ، ليَرْتاحَ منهُ ومنَ الوسَاوسِ التى تقضُّ منَامَهُ بسببه.

وعلمتْ ميكالُ ابنةُ الملك منْ سُكان قصرِ أبيهَا أنُه يدبرُ لقتْلِ زوجهَا داودَ، فأبلغتْ داودَ بما عرفتْ، فدبَّرا أمرهُمَا واختْفَى داودُ عنِ الأنظارِ، ولمْ يعدْ أحدٌ يراهُ، ولاَ يدرى إنسَانٌ مَا شَأنُهُ، ولاَ أينَ هُوَ فى أرضِ الله، وعندئذ افتقدهُ طالوتُ فى حُروبه، وخافَ علَى مَا حقَّقهُ منَ انتصارات أنْ يذْهبَ مرَّةً أخرَى هشيمًا فى مهبِّ الرِّيحِ، فأعلَن مَا يُطمئنُ داودُ منْ جهَة الملك، وعفَا عنهُ، وظهرَ داودُ، ولكنَّ الحَاشيةَ لَمْ تُسكتهَا التَّجربَةُ فعادتْ تَشى إلَى الملك بمطَامعِ داودَ وطُموحه إلَى تولِّى الملْك، وأرادَ الملْكُ إراحةَ نفسه منَ الوشَايات ومَا يتبعُهَا منْ وسَاوسَ، فعيَّنَ داودَ قائدًا عامًّا للجيُوشِ المحَاربة، ليبعدَهُ عنْ مقرِّ الحكْمِ، وليهلكَ بسيُوفِ الأعداء، إذَا كَانَ منَ الهالكينَ، فيكُونُ طالوتُ بعيدًا عنِ الشُّبهَةِ فى قتله، ولاَ ينالهُ منْ أحد لَومٌ ولاَ عتابٌ.

ولكنَّ اللهَ وفَّقَ داودَ فى كُلِّ حَرْبٍ شَاركَ فيهَا، وفى كُلِّ معركَة دَخلَهَا، فحقَّقَ لَهُ الانتصَار تلوَ الانتصَارِ، فَارتفعَ ذكْرهُ بينَ قومه، وهتفُوا باسْمه، وزادَ حبُهُمْ لَه، وتمسُّكُهمْ بقيادَته، وعندئذٍ لَم يَجدِ الملكُ طالوتُ



بدأ منَ تَجنيد كُلِّ قُواهُ لقـتْلِ دَاودَ والانتهَاءِ منْهُ خَوفًا عَلَى مُلكه وخـشيةً منْ بنى إسرَائيــلَ أَنْ يُنادُوا بتنصيب دَاودَ ملكًا عَليـهمْ، فحَاولَ قـتلَهُ مَرةً ثانية، ولَمْ يجِدْ دَاودُ لنفْسه نجاةً إلا أَنْ يهرَبَ مِنْ وجه الملك كَمَا هَرَبَ مِنْ قَبْلُ، فَخرَجَ مِنْ دياره، وَسَارَ فِى أَرضِ فلسْطينَ حَتَّى وقعَ فِى يَدِ أعدائه السَّابقينَ منَ العمَالقَـةِ، فذَهبُوا به إِلَى مَلكهمُ الذى أَرادَ قَتْلَهُ هوَ الآخرُ، فتظاهرَ بالجُنون، وطَرَدهُ مَلكُ الـعمَالقَة منْ حَـضرَته، وهُنَا أيقنَ دَاودُ أنَّ اللهَ سُبحَانَهُ وتعَالَى قَد ابـتلاَهُ ببلاءٍ عَظيمٍ، هُوَ مُحاربَةُ الملك لَهُ، وتكْدير عيـشه بالفرَارِ منْ مكَانٍ إِلَى مـكَانٍ، فقرَّرَ أنْ يعُـودَ إِلَى دياره وَأنْ يُواجهَ الملكَ، ولَيكُنْ مِنَ الأُمور بعْدَ ذلكَ مَا يكُونُ.

جَمعَ دَاودُ أَبَاهُ وإخوتَهُ وكلَّ أَقـاربه، وأَخذَ معَهُمْ رَجُلاً آخـرَ يَشعُرُ بالضَّيق مِنْ حُكمِ طَالوتَ، وخرَجَ إِلَى البرِّية ليدْعُوَ إِلَى اللهِ، وَيعيشَ هُوَ وأهْلُهُ فِى حيَاة زَاهـدَة، لَيسَ فيهَا إلا التَّوكُّلُ والوثُـوقُ بمَا عندَ اللهِ، أَكثَر منَ الوثوق بمَا فِى يَده، ولَكنَّ طَالوتَ لم يتركْهُ فِى حَالِه، بَلْ أرسْلَ وراءَهُ مجَموعةً منْ رجَالِه ليقبضُوا عليْه ويُعيدُوهُ إِلَى الملك ليكونَ تَحتَ أَنظاره، ويَأمنَ جَانبَهُ.

ولَمْ يَستطعْ هؤلاَءِ الرِّجالُ أنْ يتعرَّفُوا عَلَى مكَان دَاوُدَ، فَخرَجَ الملكُ طَالوتُ بنفسه لـيبْحثَ عَنْهُ عَازمًا عَلَى قـتله والفرَاغِ مِنْهُ ومنَ الشَّكِّ الذى يُؤرقُهُ وَلاَ يدَعُ لَه سَبِيلاً إِلَى الرَّاحَة.

كَـانَ دَاودُ يَأْوى إِلَى كَهف يَحـتمى بـه هُوَ ورجالُهُ، اسـتدَلَّ عليـهُ طَالوتُ وتوجَّهَ إليْه، ولَمْ يكدْ يصلُ إِلَى مَقصده حَتَّى غَلَبَتْهُ عيناَهُ فراحَ فى

نوم عميق، وكانت فرصة أرادَ رجالُ داودَ أن ينتهزوها ويقتلوا الملكَ، ولكنَّ داودَ النبيَّ أبى أنْ يكونَ منَ المغتالين، ورفض أنْ يفعلَ رجالُهُ مايريدُونَ؛ لأنَّ اللهَ قدْ حرَّم قتلَ النفوسِ بغيرِ حقٍّ، وأرادَ داودُ أنْ يعطي أمارةً للملك بأنَّهُ كَانَ قادرًا عَلَى قتله ولكنَّهُ عفَا عنْهُ، واستبقَى حياتَهُ ابتغاءَ وجْهِ الله، فقطعَ داودُ قطعةً منْ ثيابِ الملكِ تكونُ هِيَ الأمارةُ عَلَى ما يقُولُ.

ولَمَّا استيقظَ الملكُ منْ نومه، سَارَ دَاودُ وراءَهُ، وأخبرَهُ بأنَّه كانَ نائمًا عندَهُ، فِي الكهفِ الذي يأوي إليْهِ، وأنَّهُ كَانَ في الإمكان أنْ يقتُلَهُ الرِّجَالُ، ولكنَّهُ لم يوافقْ عَلَى قتلِ نفسٍ بغيرِ حقٍّ، وقدَّمَ إليه الدَّليلَ عَلَى ذلكَ، وهُوَ قطعةُ الثَّوب الَّتي قطعَهَا منْ ثيابه، وهُوَ نائمٌ، ولما تحققَ طَالوتُ ممَّا قالَه داودُ ندمَ أشدَّ الندمِ، وقَالَ معتذرًا: أنتَ أبرُّ منِّي ياداوُدُ، وأكثرُ وفاءً، ولَمْ تكُنْ تَستحقُّ منِّي ذَلكَ الكيدَ والعَنَاءَ.

قَالَ دَاودُ: عفَا اللهُ عمَّا سلَفَ، ولتعُدْ إلَى قصرِكَ فِي أمنٍ واطْمئنان، وثِقْ تمامَ الثقة بأنِّي لَمْ أكُنْ ولَنْ أكُونَ يومًا ما منَ الخائنينَ.

عَادَ طَالوتُ إلَى قصره، ولَكنْ سرعَانَ مَا عَادَتْ إليْه الوَسَاوسُ والشُّكوكُ فِي نَوايَا دَاود، وتحْتَ تَأثير حَاشيَة السُّوء، عَادَ إلَى التَّفكير في الغَدْر والمكيدَة والخَلاص منْ دَاودَ. فطلبَ رأسَ دَاوُدَ، وأعلَنَ ذلكَ جَهرةً، وخرَجَ يقُودُ جيشًا كثيفًا، وظَلَّ دَاودُ يُراقبهُ عَنْ كَثَب حتَّى نزَلَ هُوَ وجنُودُهُ منزلاً ونَامُوا فيه، وجَاءَ داودُ وحْدَه يتخطَّى أجسَادَ النَّائمينَ حَتَّى وَصلَ إلَى الملك، واستولَى عَلَى رُمحه ووعَاء الماء الذى كَانَ عند رأسه، وتركَهُ وانصرفَ إلَى خارجِ المكَان الذى ينامُونَ فيه.

وَصعدَ دَاودُ فَوقَ إحْدَى الرَّوابِى الَّتِى تَرتفعُ عَن سَطْحِ الأَرضِ بَعْضَ الارتفَاعِ، ونادَى بصَوْت عَالٍ ليُسْمعَ الجميعَ نداءهُ، ودَعاهُمْ إِلَى الإنصَاتِ لَهُ جَيداً. وَأعلَمَهُمْ أَنَّ الفرْصَةَ سَنَحتْ لَهُ مَرَّةً أُخْرَى لقَتلِ الملِكِ، ولكنَّهُ لَم يفعَلْ، واكْتفَى بالاستيلاءِ عَلَى رُمحِ الملِك ووعَاءِ شَرابه، اللذين كَانَا عِندَ رأسِه، وكَانَ بإمْكَانه قطعُ هَذَا الرأسِ، ولَكنَّهُ اكْتفَى بِأنْ يجعَلَ للملك أمَارةً ودليلاً عَلَى ذلكَ.

ومرةً أخرَى يُظهرُ الملِكُ النَّدمَ، ويَعتذرُ عَمَّا فَعلَ.

وتمرُّ الأيَامُ ودَاودُ يَعيشُ فِى البرِّيَةِ، يَائسًا مِنْ إصْلاحِ الحَالِ بينَه وبيْنَ الملك، فعـزَمَ عَلَى أنْ يقْضِى بقيـةَ حياته داعـيًا إِلَى اللهِ، فَاستوْطَنَ هُوَ ورجَالُه إحْدَى قُرَى فلسطَين، ليجعَلَها مُنطَلَقًا لدعْوته.

دَاوُدُ ملكاً ونبياً

دَارتْ رَحَى الحرْبِ مَرَّةً أخْرَى بينَ الملك طَالوتَ وأعدَائه منَ العَمالقة، وكَانتْ حَربًا مُستعِرَةً، لاَ يقَرُّ لهَا قَرارٌ، ولاَ تهْدأُ لهَا نَارٌ، فَانهزَمَ طَالوتُ هزيمَةً منكرَةً، وتمزَّقَ جَيشُهُ كُلَّ ممَزّق، وفِى إحْدَى المعارك قَتلَ العمَالقةُ طَالوتَ، وقضَوْا عَلَى كَثيرٍ مِنْ جُنوده الذين لَمْ يُطِيقُوا مُواصَلَةَ المعَارك ضدَّ الأَعْدَاءِ.

ولَمْ يكنْ دَاود بَعيدًا عَنْ هذه الحرْبِ، إذْ أغَارَ العَمالَقَةُ عَلَى المسَاكِنِ الَّتِى يَعيشُ فيهَا هُوَ ومَنْ معَهُ. فَاضْطُرَّ دَاودُ أنْ يَدْخُلَ المعركَةَ دفَاعًا عَنْ نَفسِه وأهلِه فهزَمَ العماليقَ شَرَّ هزيمَةٍ، وَغنمَ منهمْ مغَانمَ عظيمَةً.

كَانَ قَاضي القُضَاة صَمُوئيل لاَ يزَالُ حيًّا، يَعيشُ مَعَ بَنى إسْرائيل، وَيقْضى بينَهُمْ فيمَا يَحتَاجُونَ إليه منْ أقضيَة، فَذهَبَ إلَى دَاود يخبرُهُ، بأنَّ المُلْكَ قَدْ جَاءَ إليه بعْدَ طَالوت، وأَنَّ اللهَ قد اختَارَهُ نبيًّا وملكًا عَلَى بنى إسرَائيلَ، وأتاهُ أَحَدُ فُرسَان طَالوت بسواره وإكْليله، فحزِنَ دَاود حزنًا شَديدًا لهذه الأنباء ورَفض أنْ يكُونَ ملكًا عَلَى بنى إسرَائيلَ.

ولَكنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وتعَالَى أَوْحَى إليْه بأنْ يكُونَ نبيًّا ورَسُولاً، وأنهُ بعثَهُ إلَى بَنى إسرَائيلَ، ليهْديَهُمْ إلَى طريق الله، وأوصَاهُ أنْ يذْهَبَ إلَى مَدينة الخَليل، وهُناكَ التقَى ببَنى إسرَائيل الذين نصبوهُ ملكًا عليهمْ.

كَانَ الملكُ النَّبىُّ دَاودُ عَليه السَّلاَمُ طوَالَ مُدة مُلكه مُجَاهدًا فى سَبيلَ الله، يَقفُ فى وَجْه الشرْكَ والمشْركَينَ أعداء الله وأعدَاء الدِّين، حتَّى اتَّسعَ مُلْكُهُ، وصَارَ منْ خَليج العَقبة إلَى شَاطئ الفرَات، وفَتحَ دمْشقَ وبلاَدَ الشَّام كُلَّهَا، فانضَوتْ تَحتَ لوائه، ولَم ينْسَ طوَالَ حَياته أنَّ مهمَّتَهُ الأُولَى والأسَاسيَّةَ هىَ الدَّعوةُ والتوحيدُ، هَاتفًا كَمَا هَتفَ كُلُّ الأنبياء منْ قبله: يَا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ مَا لَكُم منْ إله غَيْرُهُ.

مُعجزَاتُ دَاوُدَ

كَمَا أنَّ لكُلِّ نَبىٍّ معْجزَةً يؤيِّدُهُ اللهُ بهَا، تكُونُ خَارقَةً للعَادة البَشَرية، لا يَستطيعُ إنسَانٌ أنْ يأْتىَ بمثلهَا إلاَّ بقدْرة الله عَزَّ وجَلَّ، كذَلكَ كَانَ لداوُدَ عَليه السَّلاَمُ مُعجزَاتٌ، فهُوَ نَبىٌّ كَريمٌ، وملكٌ عَظيمٌ، أعْطَاهُ اللهُ منَ الآيات، ورزقَهُ منَ المعجزَات الكَثيرَ، منْ تلكَ الآيَات والمعْجزَات أنهُ كَانَ حَسنَ الصَّوت، حَسنَ الإنشَاد. حَتَّى أنَّهُ أصبَحَ مثلاً لذلكَ، فإذَا سَمعَ النَاسُ صَوْتًا حَسنًا قَالُوا عَنْ صَاحبه كأنهُ أُعطىَ مزمَارًا منْ مَزاميرِ دَاود عَليه السَّلاَمُ.

وَمِنْ مُعجزَاته أيْضًا أَنَّ اللهَ سخَّرَ لهُ الجبَالَ، فكَانتْ تُسبِّحُ مَعَهُ بصوْتٍ مَسمُوعٍ، وهُوَ يَجْلسُ بينَهَا شَاكرًا لله عَلَى نعْمَائه.

كَمَا كَانَ مِنْ معجزَاته تَسبيحُ الطَّيرِ مَعَهُ، والدُّعاءُ خَلفَهُ والبكَاءُ مِنْ خشَيةِ اللهِ وَهِى تسمَعُهُ يَبْكِى فَتبْكِى مَعَهُ، فكَانَ ذلكَ آيةً مِنْ آياتِ اللهِ للعَالمينَ.

وعَلَّمهُ اللهُ لُغةَ الطُّيورِ ولهَجَاتهَا، فكَانَ يحدِّثهَا وتحدِّثُهُ ويسْمعُ منْهَا وَتَسمعُ منْهُ، ويفهَمُ عَنْهَا وتفهَمُ عَنْهُ.

وَمِنْ معُجزَاتِ دَاودَ أَنْ أَلاَنَ اللهُ لَهُ الحديدَ، فَقدْ ذكَرنَا أنهُ كَانَ حدَّادًا فِى فَترةٍ مِنْ حيَاته، فكَانَ الحديدُ بَينَ يديْه مِثْلَ الشَّمعِ يُصرِّفُهُ كَيفَ يشَاءُ مِنْ غيرِ طَرْقٍ وَلا إحمَاءِ نَارٍ.

وآتاهُ اللهُ الحكْمَةَ وفصْلَ الخطَابِ، والحكْمةُ هِىَ النُّبوَّةُ، وتعْنِى وَضْعَ كلِّ شَىْءٍ فِى محلِّه السَّليمِ ومكَانه الصَّحيحِ، كَمَا تَعنى أَنَّ الإنسْانَ يأتِى بالأمْرِ عَلَى أكَملِ وَجْهٍ بحيْثُ لا يمْكِنُ أن يَعترضَ عَليه أَحدٌ.

الزبورُ كتابُ داودَ عليهِ السلامُ

كَمَا أنزلَ اللهُ التَّوراةَ عَلَى مُوسَى، والإنجيلَ عَلَى عيسَى، والقُرآنَ عَلَى نَبينَا مُحمد، صَلواتُ اللهُ وسَلاَمُهُ عَليهِمْ جَميعًا، كَذلكَ أَنزلَ عَلَى دَاودَ عَليهِ السَّلاَمُ كتَابًا سَماويًّا هُوَ رَابعُ الكتُبِ المقدَّسةِ الَّتى نَعرفُهَا، اسْمُهُ

«الزَّبورُ» يتضــمَّنُ قصائدَ وأنَاشيـدَ فيـهَا ذكرُ اللهِ وتَسْبيحٌ وتَحمـيدٌ وثَناءٌ عَلَيْهِ، وتمجـيدٌ لَهُ، يتَـضرَّعُ بهَـا بَنُو إسرَائيلَ إلَى اللهِ، كمَـا أنَّ به بَعضَ الأَخبَارِ عَنْ حَوادثَ سَوفَ تكُونُ فِي المستَـقبَلِ، وهَذَا الكتَابُ يُسمِّيه أَهْلُ الكتَابِ مِنَ اليهُودِ والـنَّصارَى «المزَاميرَ» وعددُهَا مائةٌ وخَمـسُونَ مَزمُوراً، لَيسَ فِـيهَـا أَحكامٌ دينيَّـةٌ، ولاَ أوَامرُ ولا نَواه، بَلْ كلُّ مَـا فِي الزَبورِ أَو المزَاميرِ، تَسبيحٌ بحمْـدِ اللهِ وثَناءٌ عليْه، وتَضرُّعٌ إليْه لعَلَّهُ يَهدِي قُلَوبَ بَنِي إسرَائيلَ، فَيعُودُوا إلَى العبادَةِ الحقَّةِ الصَّحيحَةِ للهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ.

وبَعدَ أَن انـتقَلَ دَاودُ إلَى جوَارِ ربِّه، ورثَ سَـليمَانُ الملْكَ عَـنْ أَبيهِ دَاودَ، وبدأَتْ حقْـبَةٌ أخْرَى فِـي تَاريخِ بَنِي إسرَائيلَ مَعَ أَنبـيَائهِمْ، وذلكَ مَوضُوعُ قصَّتِنَا التَّاليةِ إنْ شَاءَ اللهُ.